

(6) (الزمان) تنفرد بأطول وأشمل حوار مع الفكر العربي الكبير الدكتور خير الدين حسيب :

ثورة 14 تموز 1958 نقلت العراق من نسق مدني إلى عشائري

الصراع بين الشيوعيين والقوميين أصبح من الماضي



أحمد عبد الجبار

بيروت

برغم الانتكاسات والفواجع التي تعرّض لها مشروع الوحدة العربية، والظروف الصعبة التي مرّت بها الأمة خلال نصف قرن من الزمان أثر هزيمة جيوش الدول العربية أمام إسرائيل في حزيران 1967، ظل الدكتور خير الدين حسيب رافعا راية القومية، ثابتا على إيمانه، متطلعا إلى يوم تستعيد به الأمة العربية زمام المبادرة وتنطلق إلى شواطئ أصعب قوى نهوضية. وأعوذ ذلك إلى اهتمام حسيب بالدراسات المستقبلية وإلى عقله التركيبي الذي وصفه صديقه الباحث والفكر عبد الحسين شعبان بأنّ نصفه للحاضر بما في ذلك استخلاص تجارب الماضي ونصفه للمستقبل بما يملك من شحنة تقاؤل لافتة جعلته يقدم طروحات يعجز القوميين الآخرون، ولاسيما المحبطون منهم، عن استشرافها.

لقد مرت الأمة العربية بمراحل صعبة وواجهت شتى الخطوب والعواصف العاتية وأهدرت فرسا للتطوّر نتيجة عوامل وأسباب رصدتها الدكتور حسيب ببراجعاته العلمية والتنبؤية وجرّاته بالاعتراف والاقدم على نقد الذات، وهي مقومات لا بدّ منها في نجاح أي مشروع ينهل من تاريخ موغل بالقدم كتاريخ العرب.

ولأنّ الدكتور حسيب قليل الكلام كثير العمل والممارسة، فإنّ الحوار الصحفي معه يحتاج إلى مداخل غير تقليدية. فقد قدر لي أن أعرف إليه أخيرا بعد متابعة لانجازاته الفكرية، في حقلي التاليف والتنظير دامت عقوداً، وبعد رصد لمعظم نشاطاته السياسية التي ختم أبوابها، بالشعم الأحمر، اثر مغادرته بغداد عام 1974، منحهذاً من بيروت مقراً لأكثر مشروع بحثي عربي اقامه مع رفاقه منذ 40 عاماً وتتمثل بمركز دراسات الوحدة العربية والمؤسسات المحلقة به والمبنقة عنه، بما في ذلك المؤتمرات القومي العربي الذي يصر الدكتور حسيب على اعتباره منصة غير حزبية منطلقاً من سمة التنوع في تشكيلة عضوية أقطابه المتحدرين من تيارات مختلفة وبلدان عربية تتوزع على خارطة من المحيط إلى الخليج. ان التطوّر الفكري الذي يتسم به الدكتور حسيب يجعله "جامعة عربية" بامتياز، تلتقي في مصيبتها وعلى تخومها تيارات التحرر الوطني ومناير التنوير القومي، فضلاً عن رموز العمل الإسلامي. ولعله واحد من قلة ترك مكرراً أن أفة الأمة تكمن في احتراق هذه المكونات والعنوانات السياسية بحيث تضعف منها فرص التقدم والاتحاد، وتعلو بسببها أصوات الصراعات وتقاوم المشكلات.

وهو يرى أن لا بد من العمل المشترك سواءً باعتماد مفاهيم التضامن والتحالف بين الدول العربية أو ما اسماه بتشكلات "الكتل التاريخية" التي لا بد منها في تحقيق أي مشروع وحدوي وتحالف سياسي راسخين. ولأنّ مصادر ثقافة وفكر الدكتور حسيب، علمية لا تعترف بالجمود وتحث على الحركة والتفاعل، فإن حوارنا الصحفي معه، امتد ثلاثة أيام وبما يوازي نحو عشر ساعات أمضيتها في مكتبه في بيروت أراجع معه واستذكر الوقائع وأشخذ الذاكرة للحصول على مفاتيح عالم الرجل، وتحويل مسار الحوار من المحطات الجامدة إلى الافاق الإنسانية الرحبة بما في ذلك عصاميته الجديرة بالاستلهام.

ولهذا سألته عن ولادته ونشأته ومراحل دراسته في الموصل وعن محطات عمله الوظيفي في بغداد ونشاطه في لندن ثم تحولاته الفكرية وعلاقاته بالقوى السياسية الكبرى وزعماء الدول والأنظمة والمنظمات ورفاق دربه في الحركة القومية بوصفه قوياً عربياً ناصرياً يشار إليه بالبنان. ولعلني أول صحفي تتاح له فرصة من هذا النوع ويمنع وقتاً للقاء مطول وشامل مع قامة شامخة كقامة الدكتور خير الدين حسيب، صاحب المؤلفات البارزة والباحث ثاقب النظر، والقومي عميق التفكير والأثر، والمقبل على كتابة مذكراته التي قال أنها ستكشف تفاصيل كثيرة وتقدم خلاصة تجربة مفيدة للأجيال اللاحقة.

وفيما يلي نص القسم السادس من الحوار:

● **تقشفت خلال أعوام الحصار لمساعدة عائلتي في العراق**

● **رفضت منصب محافظ البنك المركزي بوجود قامة كالدكتور عبد الحسن زلزلة**

● **لا أصلح للعمل في السلك الدبلوماسي لهذا السبب**

● **أقرأ دواوين نزار قباني وأهوى قصائد الحب العذري**

مع غلاء المعيشة، وصادف أن دراسة مسامية لكلية التجارة والاقتصاد الفالحتت بها وتخرجت عام 1954، وعند تخرجي متوقفاً وكنت الأول، وقد حضر نوري السعيد رئيس الوزراء لتوزيع الشهادات والهدايا علينا، وكنت قد تقدمت للحصول على قبول في "مدرسة للاقتصاد والعلوم السياسية" جامعة لندن وهي كلية مشهورة أكثر من الجامعة ذاتها. وحصلت على بعثة من وزارة النفط وفي تشرين الأول 1954 غادرت إلى بريطانيا وقبيل مغادرتي كنت قد تقدمت لطلبية بد احدى زميلاتي التي أصبحت زوجة والدة لولادي، طارق دينا.. وكان علي ان اتركش لابتعت شهرياً خمسة دنانير لوالدتي لاعالة اخواتي، وخلال مدة وجودي في بغداد بقيت اواصل لآزمي طوال مدة الحصار على العراق في عقد التسعينيات اضطرت لي ان استغني عن تدخين السكار لتخصيص مبلغ لمساعدة أهلي في الداخل. كان مبلغ شهرانه مكلفاً ولحسن الحظ فإن ترك التدخين كان مفيداً لصحتي الشخصية، وكان هناك سبب آخر حملني على ترك التدخين فقد اكتشفت ان مرافقي الذي غالب ما كنت أكلفه لشراء السكار من محل في بيروت وتبين لي أن ثمن علبة السكار تعادل مبلغ راتبه الشهري، وقلت ما هو شعوره وهو يراني أدخن ما يعادل ثمن راتبه. كان هذا عاملاً، فضلاً عن العامل العائلي.

□ عدت إلى بغداد.. ماذا عملت بعد تخرجك؟

- عملت مديراً لقسم الإحصاء

والإبحاث في شركة النفط الوطنية وكان لدي سكرتير ومساعد باحث وراتب جيد لكني أحسست أنني بلا عمل فعمليات الإحصاء

والإبحاث في شركة النفط الوطنية وكان لدي سكرتير ومساعد باحث وراتب جيد لكني أحسست أنني بلا عمل فعمليات الإحصاء

فاقترححت ان يكون هو المحافظ لأنه أحق ثم استدعاني ثانية وقال انه تقدر نقل الدكتور زلزلة لوظيفة سفير في طهران وهو صديقي سواء قبلت المنصب ام لا اقبله فقبلته فوافق بشروط وقلت للرئيس احمد حسن البكر الذي كان رئيساً للوزراء يجب عدم التدخل بشغلي.

□ هل عرض عليك ان تكون سفيراً في مرحلة من المراحل؟

- لم يعرض علي مثل هذا المنصب شركة النفط تقتصر على قراءة الصحف، فعرض علي رئاسة دائرة الإحصاء المركزية بوزارة التخطيط فقلت له ان رئيس الدائرة آنذاك... صديقي وساعدني كثيراً ولا يمكنني قبول الحلول محله فوافق علي نقلي إلى جامعة بغداد وبقيت ادرس في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية قبل ان تصبح كلية الإدارة والاقتصاد العام 1969. لقد رفضت وظيفتي في شركة النفط برغم راتبها الميري وأنا كنت في وضع معيشي صعب. زللت أذكر ان بيئي الذي استأجرته تم تانيته بدعم من عدد من الأقارب..أديب الجادر اشترى كراسي واين عمي الضابط اشترى لي فلاجة ومستلزمات المطبخ ومن احد التجار اشترت بالاقساط اثاث المنزل، وقد استأجرت البيت في منطقة راقية خاتون لقاء بدل سنوي قيمته 360 ديناراً، وهكذا امضيت مدة ثم كلفت بوظيفة مدير عام اتحاد الصناعات العراقي، وحاولت خلال هذه المدة ان تنشط الاتحاد وزيادة فاعليته. وفي أعقاب انقلاب شباط 1963 وقبل قيام انقلاب تشرين الثاني 1963 عرض علي منصب محافظ البنك المركزي العراقي، وكان

من العمل المهني في ادارته. □ في كتاب رؤية في القضايا العربية افردت فصلاً عن المثقف والديمقراطية والسلطة. ترى ما الذي تحول عليه بالنسبة للمثقفين؟ □ لانساف ان دور المثقفين تراجع

من العمل المهني في ادارته. □ في كتاب رؤية في القضايا العربية افردت فصلاً عن المثقف والديمقراطية والسلطة. ترى ما الذي تحول عليه بالنسبة للمثقفين؟ □ لانساف ان دور المثقفين تراجع



حفيد خير الدين حسيب يطبع قبلة على جبين جده

لأسباب موضوعية، فجلهم وحتى الخمسينيات كانوا يشتغلون في العراق وغيره. كانوا من اسر ميسورة مادياً ويتمتعون باستقلالية اقتصادية عن الحكومة، وكان بمستطاعهم المعارضة وهم خارج عباءة الدولة، لديهم موارد. ثم انتشار التعليم جعل الطبقة المتوسطة تتعلم وتدرس في الجامعات، في الخارج والداخل، لكن ليس لديها استقلالية اقتصادية وتعتمد في المعيشة على الدولة، على الوظيفة، وما أدى الي عجزها عن المعارضة، وإذا عارضوا يدفعون الثمن. ولذلك يفضل قسم منهم السكوت وقسم آخر كان يمضي مع الحكومة وقسم ثالث يعارض لكن يرسل إلى خارج العسراق. هذا أثر على الحركات الوطنية، بإمكانك ان تقارن وضع المعارضة في مصر قبل 1952 وبعدها وقارن في سوريا من هم الوزراء رؤساء الحكومات؟ كانوا من عائلات ميسورة ولديهم امكانيات، هذا العامل الاقتصادي أثر كثيراً. الثورة تموز على أهميتها السياسية لكن انتقل العراق من نسق مدني إلى نسق



تقليد خير الدين حسيب يتقلد وساماً رفيعاً بحضور الرئيس اللبناني السابق سليم الحص

عشائري، يعني بعد 1958 كانت التعيينات تتم على أساس القرابة والعلاقة الشخصية، لكن يتم اختيار الوزراء على أساس الكفاءة وليس الولاء الطائفي أو القومي. وبعد عام 1958 انتقل نسق القيم